

ولاية النساء



آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



المقدمة

انّ من أبرز الخصائص لديننا الاسلامي الحنيف هو أنه يعارض التمييز بمختلف ألوانه بقوة ، و يصرح بالمساواة بين أفراد البشر ، من الرجل و المرأة و الأبيض و الأسود و العرب و العجم و غير ذلك.

القرآن الكريم ، باعتباره كتاب المسلمين المقدس ، ينص صراحة على ميثاق المساواة بين جميع البشر، ويقول في هذا الصدد:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
 وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 خَبِيرٌ. (سورة الحجرات، الآية 13).

فإن كلمة "الناس" في هذه الآية الكريمة تشمل الرجال و
 النساء على السواء ، كما تشمل جميع أصناف البشر من
 الأعراق المختلفة و الأجناس المتنوعة.

بالإضافة إلى الآية السابقة ، ههنا روايات قيمة من كبار قادة
 الإسلام عن المساواة بين جميع البشر ، من دون الفرق بين
 الرجل و المرأة ، وسنقدم لكم مثلاً عنها:

يقول جابر بن عبد الله:

خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، ألا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

ألا هل بلغت؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فليبلغ الشاهد الغائب. (تفسير القرطبي، المجلد 9؛ و بحار الانوار، المجلد 15).

و قال أيضا:

"الناس سواسية كأسنان المشط الواحد".

و من هذا المنطلق ، قام الانسان باحقاق حقوق جميع الناس و حيث أن حقوق النساء كانت مغفولا عنها في الصدر الأول من الاسلام ، قد اهتم الرسول الأعظم ، صلى الله عليه و آله و سلم، بالدفاع عن حقوقها و احياء مكاتها في المجتمع.

لا يخفى لمن تتبّع البرهة التاريخية قبل ظهور الإسلام ، أنّ هذا الدين الحنيف في تلك الفترة الزمنيّة السوداء ، قد أحيا حقوق المرأة و قد أعطاهما المنزلة الرفيعة التي تليق بها.

و لأجل إثبات هذا المقال ، نلقي الضوء على تاريخ الظلم و التمييز ضدّ النساء في الامبراطوريّة الساسانيّة في ايران ، و امبراطوريّة الروم ، و جزيرة العرب ؛ لكي نعرف الوضع المؤسف في شأن حقوق المرأة في ذاك العصر المظلم.

حقوق المرأة في عصر الساسانيين

عندما ندرس الأسناد و الوثائق التاريخية التي تتعلق بزمان الحكم الساساني في ايران ، مثل كتاب ، "ماتبگان هزاردادستان" و كتاب "ونديداد" و كتاب "اندرزهای آذرباد مهرسپندان" ، نعرف جيّدًا أنّ الأجهزة الدينيّة و الإدارة الحكومية قد ارتكبتا أبشع ألوان الظلم في حقّ النساء في ذاك العصر.

كانت المرأة في ذلك العهد تعدّ من أموال الرجل و ممتلكاته ،
و كان قيمة المرأة بمقدار قيمة العبد ، أى : ما يعادل 2000
سكّة من الفضة. (لتوضيح أكثر ، يمكنكم الرجوع إلى دائرة
المعارف "ايرانیکا" ، قسم "برده و برده دارى").

نقرأ في كتاب "بندهش" كما يلي :

"عجز اورمزد (أى : الربّ) من أن يجد موجودا آخر ليلد
الأولاد ، فاجبر على أن يخلق المرأة لهذا الغرض".

على أساس ما يوجد في هذا الكتاب ، لاتستطيع المرة أن تجد
طريقا إلى دار الربّ ؛ بخلاف الرجل ، فإنّه يقدر على ذلك.
(راجع كتاب "بندهش" ، الجزء التاسع).

و إذا كان عمر البنت تسع سنوات ، كان من حقّ الوالدين أن
يختاروا لها زوجا ، و كان يجب عليها أن ترضى بذلك ، أو
تموت. (راجع كتاب "شاهنشاهى ساسانى ، ص 173).

و بناء على ما جاء في كتاب "ماتيگان هزاردادستان" ، كان من حق الرجل أن يبيع زوجته للأخرين عند الحاجة.

في ضوء ما ذكرنا ، يبدو بكل وضوح أنّ المرأة في عصر الساسانيين في ايران كانت تعاني من ألوان الظلم و التمييز ضدّها من قبل السلطات الدينيّة المجوسية و الحكومات الظالمة.

حقوق المرأة في الحضارة الغربية

الغرب في نفس الزمان ، أي قبل ظهور الإسلام ، لم يكن أحسن حالا من الحكومة الساسانية ، و الحال أنّ الدين المسيحي و الدين اليهودي كانا يحكمان البلدان الغربيّة في تلك الفترة الزمنية.

هنا نلقي الضوء على وجهة نظر الكتاب المقدّس لليهود و النصارى ، أي كتاب العهدين ، و ندرس الآيات التي تتعلّق بأمر النساء.

جاء في الكتاب المذكور أنّ الله أخذ القرار بأنّ يعذب المرأة بالوجع عند الولادة و بسلطة الرجل عليها. و ذلك من أجل أنّ حواء قد أكلت من الشجرة الممنوعة.

و إليكم نصّ ما جاء في سفر التكوين ، الاصحاح الثالث ،
الآية السادسة عشر :

To the woman he said: I shall greatly increase the pain of your pregnancy, in birth pangs you will bring forth children, and your craving will be for your husband, and he will dominate you.

(Holy Scriptures, Genesis, 3:16)

" و قال للمرأة : تكثيرا أكثر أتعب حبلك ، بالوجع تلدين أولادا ، و إلى رجلك يكون اشتياقك و هو يسود عليك".

على أساس هذه الآية ، ابتليت المرأة ببلائين :

1- الوجود عند الولادة ، و هو لا يختصّ بمرأة دون الأخرى ، بل

يعمّ النساء كلّهنّ.

2- سلطة الرجل على المرأة.

و يظهر من الكتاب المذكور أيضا أنّ المرأة لاتساوي الرجل في

كيفية الخلق ، بل هي فرع من الرجل ، لأنّها خلقت من أحد

أضلاع الرجل. هذا يعني أنّ الإنسان خلق بصورة الرجل لأوّل

مرّة ، ثمّ خلقت المرأة من عضو من أعضاء الرجل.

و إليكم نصّ ما جاء في سفر التكوين ، الفصل الثاني ،

الآيتين 21 و 22):

“Hence Jehovah God had a deep sleep fall upon the man, and while he was sleeping, he took one of his ribs and then closed up the flesh over its place. And Jehovah God proceeded to build the rib that he had taken

from the man into a woman and to bring her to the man.”

(Holy Scriptures, Genesis, 2:21-22)

"فأوقع الربّ الإله سباتا على آدم فنام . فأخذ واحدة من أضلاعه و ملأ مكانها لحما. و بنى الربّ الإله الضلع التي أخذها من آدم إمراة و أحضرها إلى آدم".

حقوق المرأة في جزيرة العرب

تلك البرهة من الزمان (أى قبل ظهور الإسلام) في الجزيرة العربية هي معروفة بعصر الجاهليّة. لأنّ القيم الأنسانية كالعدالة و الحرّيّة و حقوق الإنسان و حقوق المرأة كانت منسيّة في تلك الفترة.

كان العرب في ذاك الزمان يكرهون البنات و كما يقول القرآن :

" وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ .
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ
يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ".

(سورة النحل ، الآية 58 و 59).

و كان كثير منهم يدفنون البنات في التراب للتخلص منهنّ.
القرآن الكريم يشير إلى هذه العادة السيئة لسكان الجزيرة
العربية في تلك الفترة الزمنية في الآيات التالية من سورة
التكوير:

"إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ
قُتِلَتْ".

اهتمام الاسلام برفع مكانة المرأة في المجتمع

قامت الشريعة الإسلامية الغراء في مثل هذه البرهة السوداء من تاريخ البشر بإحقاق حقوق النساء. الآيات القرآنية وضحت معالم حقوق المرأة و أبطلت معايير الجاهلية كحرمان النساء من الإرث و التمييز بين الرجل و المرأة في الإنسانية و دفن البنات في التراب.

و من جهة اخرى ، قام النبي الأعظم محمد ابن عبدالله (ص) بتكريم النساء كزوجته خديجة و بنته فاطمة الزهراء سلام الله عليهما. كان النبي (ص) يقبل يدي بنته فاطمة و يقوم من مقامه عند قدومها ، احتراماً لها ، و يقول مرارا و تكرارا : فداها أبوها.

هذا الاسلوب العملي في تكريم المرأة قضى على العادات السيئة في عهد الجاهلية و أعاد منزلة المرأة و كرامتها مرة اخرى.

منزلة الانسان (الرجل و المرأة) في الاسلام

أعطت مدرسة الإسلام الأصيل ، على مدى قرون ، أعلى قيمة للإنسان ونصحت المسلمين بمراعاتها ، من دون التمييز بين الرجل و المرأة.

و إليك ثمانية مواقف لكرامة البشر بشكل عام ، من وجهة النظر الإسلامية:

صاحب الأمانة الألهية

ويقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

"انا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان" (سورة الأحزاب، الآية 72).

خليفة الله على الأرض

كما جاء في كلام الله تعالى في هذا الصدد:

"و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسيح بحمدك و نقديس لك قال انى اعلم ما لاتعلمون. و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم. قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبئهم بأسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ما تبءون و ما كنتم تكتمون". (سورة البقرة ، الآية 30-33).

يستفاد من سياق الآيات المذكورة أن معنى هذه الخلافة يمكن أن يكون خلافة الله تعالى وليس خلافة نوع من مخلوقات الأرض التي عاشوا فيها وانقرضوا في سابق الزمان. لذلك فإن هذه الخلافة لاتخص شخص آدم أبي البشر عليه السلام.

كما يستفاد من الآية التالية أيضا نفس الحقيقة:

"ثم خلقناكم خلائف في الارض". (سورة الفاطر، الآية 39).

مظهر التقويم الأحسن

يقول الله سبحانه و تعالى في كلامه المجيد:

"لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم". (سورة التين، الآية

.(4)

التقويم هنا يعني ما يوجب القوام و هو ما يستلزم الثبات في الأمر.

فإن الانسان لديه أفضل تناسق و قوام من حيث الخلق. و هو أوفر حظا من أي مخلوق آخر للوصول الى مقام الخلافة الالهية و العروج الى الملكوت الأعلى.

حامل العهد الألهي

نقرأ في القرآن الكريم في هذا الصدد كما يلي:

"واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم على أنفسهم أأست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين". (سورة الاعراف، الآية 172).

السالك الى منزلة لقاء الله

ونقرأ في هذا الصدد أيضاً في القرآن الحكيم:

"يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه". (سورة

الانشقاق، الآية 6).

من الواضح أن المقصود من لقاء الله في هذه الآية الكريمة هو

الوصول إلى مقام القرب إلى الله و الدرجة العليا من الكمال.

المتعلم من الله

قال الله تعالى في سورة الرحمن:

"الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ".

و يقول في موضع آخر:

"عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم". (سورة العلق، الآية 5).

المكرم من جانب الله

نقرأ في سورة الأسرى كما يلي:

"ولقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم
من الطّيّبات و فضّلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً".
(سورة الأسرى ، الآية 70).

العالم المتفوق و الكون الجامع

يبدو هذا الوصف المجيد للانسان في الأبيات التالية المنسوبة
في العديد من ديوان القصائد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب (ع):

دوائك فيك و لا تبصر

و دائك عنك و لا تشعر

وأنت الكتاب المبين الذى

بأحرفه يظهر المضمير

أتزعم انك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الاكبر

ولاية النساء

قد وضحنا أنه لا يكون هناك فرق بين الرجال و النساء من حيث المنزلة الاجتماعية من وجهة نظر الاسلام. و من هذا المنطلق ، نبدء بالنقاش حول زعامة النساء ، و نسعى للجواب عن الشبهات في هذا المجال.

من القضايا المثيرة للجدل في المجتمعات الإسلامية هي قضية ولاية المرأة و زعامتها في المجتمع الإسلامي. فقد اعتبر بعض المباحثين المسلمين ولاية المرأة من المحظورات والمحرمات ، بينما آمن آخرون بحق المرأة في تصدي بعض مراتب الرئاسة كمديرية المؤسسات العلمية و الطبية و النيابة في مجلس الشورى و حتى منصب الوزارة ، و لكن لم يتقبل الزعامة

العامة و الولاية العظمى للمرأة ، و البعض الآخر ليس لديهم
اعتراضات في هذا المستوى أيضا.

ما نقصد به من الولاية العظمى هي القيادة العامة للمجتمع ،
مثل منصب "قائد البلاد" ومنصب "المرجعية الدينية للأمة".

على سبيل المثال ، في بعض الدول العربية ، لا تزال المرأة ليس
لها حتى حق التصويت في الانتخابات ، ناهيك عن الحق في أن
تُنتخب و تصل الى مناصب مهمة.

و في بعض البلدان الإسلامية الأخرى ، يُسمح للمرأة بالارتقاء
إلى مستويات متوسطة من الإدارة السياسية والعلمية
والاجتماعية ، لكنها تواجه مأزقاً في الوصول الى الولاية
العظمى.

اليوم ، وخاصة في البلدان الإسلامية المتقدمة أو النامية ، تتم
مناقشة مسألة ولاية المرأة بجدية ، وتتطلب المزيد من
الاهتمام من المفكرين الإسلاميين لهذه الظاهرة المثيرة للجدل.

نحاول في هذا المقال أن ندرس أبعاد حقوق المرأة في هذا الصدد ، ووفقاً لمصادر دينية صحيحة ، و نعرض وجهات نظرنا حول الولاية العظمى للمرأة، مستشهدين بمبادئ إنسانية وإسلامية.

المساواة بين الرجل والمرأة في الإنسانية

من خلال مجموعة آيات القرآن والأحاديث الإسلامية ، يتضح أنه من وجهة نظر الإسلام ، فإن مكانة الرجل والمرأة "كإنسان" متساوية أمام الله. ولتوضيح هذه المسألة نشير إلى الآية الأولى من سورة النساء على النحو التالي:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ...".

كما ترى في الآية المشار إليها ، فإن المنشأ الأساس للرجل والمرأة ، على حد سواء ، هو حقيقة تُعرف بـ "النفس الواحدة" وهي روح مقدسة إنسانية.

لذلك فإن أرواح الرجال والنساء لها نفس المكانة أمام الله.
وعليه ، فإن الفروق الجسدية بين الرجل والمرأة هي فقط لأن
كل من الرجل والمرأة يكمل الآخر ولكل منهما كماله الخاص ؛
لكنهما في نفس الوقت متساويان في الإنسانية والكمال البشري
. وبالتالي ، فإن الاختلافات الجسدية ليست سببًا لتفوق
إحدى الطائفتين على الأخرى.

الرد على احتجاج

بعض الباحثين ، احتجاجًا على نظرية المساواة بين الرجل

والمرأة ، يثيرون

السؤال التالي:

ان كانت المرأة و الرجل متساويان ، فلماذا يسمي القرآن

الرجال بـ "القوامين على النساء"؟ ألا يعني هذا أن الرجال

أفضل من النساء؟

للإجابة على هذا الشك نأتي بنص الآية المشار إليها كالتالي:

""الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على
 بعض و بما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات
 حافظات للغيب بما حفظ الله". (سورة النساء الآية 33).

علينا أولاً أن نشرح معنى كلمة "قوام" في هذه الآية.

هذه الكلمة كما في قواميس اللغة العربية ، تعني "المتكفل
 بالأمر". فالقوام هو الشخص المسؤول عن شيء ما ، و الذي
 يكون قوام أمر معين على عهده.

بما أن مهمة توفير النفقات والدعم المالي للأسرة وفقاً للإسلام
 هي مسؤولية الرجل ، فإن الله تعالى في هذه الآية الكريمة من
 القرآن الكريم ، قد اعتبر الرجل كداعم للمرأة في البيت و
 كمسؤول عن إعالة أفراد الأسرة.

وعليه ، فإن هذه الآية ليست بصدد إثبات فضل الرجل على
 المرأة ، بل بيان مسؤولية الرجل وواجبه تجاه أسرته.

المرأة والولاية العظمى

تمت مناقشة حق المرأة في هذا المجال على ثلاثة مستويات كالتالي.

1. المسؤوليات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية وما شابهها ، مثل إدارة المدرسة ، والجامعة ، و بعض دوائر الدولة ، وما شابه ذلك.

2. المسؤوليات الوسطى مثل منصب الوزارة والتمثيل البرلماني وما في حكمها.

3. منصب الولاية العظمى ورئاسة البلاد و قيادة الأمة و الزعامة الدينية الكبرى كالمرجعية و مقام الافتاء ، و ما شابه ذلك.

الجزء الأول من الإدارة والمسؤولية للمرأة مقبول بشكل عام من قبل المسلمين وعلماء الأمة في كثير من البلدان الاسلامية ولا يحتاج إلى مناقشة.

الجزء الثاني (المسؤوليات الوسطى على مستوى الوزير و
 النائب في البرلمان و ما شابه ذلك) للنساء مقبول أيضاً في
 بعض البلدان الإسلامية. ورغم أن بعض الفقهاء لم يوافقوا
 على هذا النوع من المناصب للمرأة إلا أن بعضهم الآخر أعلن
 الإذن به. ومع ذلك ، لا توجد معارضة واسعة النطاق لهذه
 الفئة من المناصب بالنسبة للنساء.

لكن الأمر الذي نوقش بجدية بين الفقهاء هو الرئاسة العليا
 للبلاد ، و قيادة الأمة ، و الزعامة الدينية العامة ، و الولاية
 العظمى.

ومن هنا نركز على هذه القضية الخلافية ونحاول بيان أدلة
 الطرفين وأخيراً نستنتج ما هو صحيح عندنا.

أدلة المعارضين لولاية المرأة

إن الذين عارضوا الولاية العظمى للنساء ، تمسكوا بدلائل من الكتاب و السنة ، و نحن نذكر هنا الأهم منها و المناقشة فيها كالتالي:

الدليل الأول

ومن حجج هذه المجموعة هي الآية 33 من سورة النساء:
 "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله".

قد ذكرنا توضيحات لهذه الآية مسبقا ، و لكن بعض الفقهاء والمفسرين اعتبروا أن كلمة "القوام" في هذه الآية تعني الولي أو الحاكم ، الذي بموجبه يكون حق الحكم للرجال دون النساء. من باب المثال ، يعتبر العلامة الطباطبائي ، في تفسير الميزان ، أن تزايد قوة العقل لدى الرجال مقارنة بالنساء ، هو السبب لولاية الرجال فقط دون النساء ، و يتمسك بهذه الآية المشار إليها.

الاعتراض على هذا الدليل

قد شرحنا مسبقا ، أن كلمة "القوام" في معاجم اللغة العربية ، تعني "المتكفل بالأمر". و بما أن مهمة توفير النفقات والدعم المالي للأسرة وفقاً للإسلام هي مسؤولية الرجل ، فإن الله تعالى في هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم ، قد أشار الى هذه المسؤولية للرجل تجاه المرأة في الأسرة.

وعليه ، فإن هذه الآية ليست بصدد إثبات الحكومة و الولاية للرجل ، بل هي بصدد تبين مسؤولية الرجل وواجبه تجاه المرأة.

و من أجل هذا ، يقول علماء اللغة العربية في بيان معنى "الرجال قوامون على النساء" : القوَامُ : المتَوَلَّى للأمور : يقومون بالنَّفقة عليهمَّ والذَّبَّ عنهمَّ.

الدليل الثاني

و الآية الأخرى التي تمسك بها بعض الفقهاء هي الآية 33 من سورة الأحزاب التي تخاطب زوجات النبي (ص) على النحو التالي:

"وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى".

وقد اعتبر بعض الفقهاء ، مثل آية الله مكارم الشيرازي ، في كتاب "تفسير نمونه" ، أن كلمة "التبرج" تعني الظهور بين الناس ، وهو ممنوع في هذه الآية.

وعليه فقد منعوا النساء من تولي المناصب السياسية والحكومية التي تتطلب ظهورهن في الأماكن العامة.

الاعتراض على هذا الدليل

هناك عدة اعتراضات على هذه الحجة:

الاشكال الأول هو أن التبرج بالتأكيد ليس بمعنى الظهور في المجتمع. و الا ، كان يجب حظر وجود النساء وظهورهن في الشوارع والتجمعات العامة.

بل إنه يشير إلى نوع معين من الظهور و هو ما جاء في الآية السابقة ، وهو الظهور من نوع الظهور في الجاهلية ، الذي كان بغطاء غير لائق ومظهر غير شرعي. و من أجل هذا ، نرى أن الآية تنهى زوجات النبي عن تبرج الجاهلية ، لا مطلق الظهور.

وعليه ، فإن الآية المذكورة لا تحرم المرأة من تصدي منصب القيادة مع مراعاة الحجاب الاسلامي و الغطاء اللائق.

أما الاشكال الثاني في هذه الحجة ، فهو أن من يخاطب بهذه الآية الكريمة هن زوجات النبي (ص). وقد لا يجوز لزوجات النبي أمر معين ، ولكن يجوز لغيرهن من النساء. مثلا ، لم يسمح لزوجات النبي أن يتزوجن بشخص آخر بعد وفاة الرسول الأعظم (ص) ، و لكن ذلك أمر مسموح بالنسبة لغيرهن من النساء.

والاشكال الثالث أن طلب عدم التبرج في هذه الآية و الآيات قبلها مصحوب بسلسلة من الطلبات الأخرى من زوجات الرسول ، بعضها واجبة وبعضها مستحب. فمثلاً: طلب اقامة الصلاة وإخراج الزكاة واجب. وأما طلب عدم التكلم بشكل لئى، أو تلاوة القرآن فهو من المستحبات.

لذلك ، حتى لو اعتبرنا أن كلمة التبرج تعني الإدارة السياسية والقيادة ، فليس من الواضح ما إذا كانت تركها واجبا أو مستحبا.

فقد اتضح أن هذه الآية في هذا السياق لا تدل على وجوب ترك المرأة للمنصب السياسي وقيادة المجتمع .

ولتوضيح ذلك ، نذكر الآيات قبل وبعد هذه الآية الكريمة بما يلي:

"يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا. وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا".

الدليل الثالث

أشار بعض الفقهاء إلى رواية في نهج البلاغة تحذر الرجال من التشاور مع النساء وإعطاءهن السلطة. على سبيل المثال ، ورد في الرسالة 31 من نهج البلاغة الموجهة من الامام علي عليه السلام إلى الإمام حسن المجتبي (ع) ما يلي:

"إِيَّاكَ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ ، فَانِّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى

وَهْنٍ ... وَلَا تَمْلِكُ الْمَرْأَةُ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ، فَانِّ الْمَرْأَةَ

رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ".

الاعتراض على هذا الدليل

وتشير الأدلة الأخرى إلى أن طلب عدم التشاور مع النساء في

مثل هذه الروايات ، على فرض صحتها و اعتبارها من جهة

الصدور ، تختص لحالات محددة و أشخاص معينين من بعض النساء لسبب خاص.

على سبيل المثال ، هناك شواهد في هذه الرواية المشار اليها تدل على أن المقصود من النساء في الحديث المذكور ليس كل النساء ، بل جماعة من النسوة في حرم الامام حسن بن علي ، و ذلك لأننا نقرأ في نفس الحديث كالتالي:

"وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل".

لذلك لا يمكن التمسك بهذا الحديث لاثبات النهي عن استشارة النساء بشكل عام.

هل يمكن أن يقال بأن استشارة السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها أو عقيلة بني هاشم ، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين لم تكن جائزا؟

القرآن الكريم ينص على أن بعض النساء الحكيمات قدّمن المشورة لنبي من الأنبياء ، وذلك النبي المعصوم عمل وفقاً لتلك الاستشارة.

على سبيل المثال ، في الآية 26 من سورة القصص ، ورد أن ابنة النبي شعيب نصحت والدها بتوظيف موسى:

"قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ".

نحن نعلم أن النبي شعيب اتبع هذه النصيحة ووظف النبي موسى.

ومثال آخر هو نصيحة زوجة فرعون أنه عندما أخذ خدامها صندوقاً من مياه نهر النيل ورأت بداخله طفلاً اسمه موسى ، وأراد زوجها فرعون أن يقتل هذا الطفل ، فمنعت المرأة الحكيمة زوجها من ارتكاب الجريمة:

"وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا". (سورة القصص، الآية 9).

فبحسب هذه الآيات الشريف القرآنية ، لا يمكن أن يقال إن

مشورة المرأة لأفائدة فيها فلا ينبغي استشارة النساء.

الدليل الرابع

و من الآيات التي تمسك بها معارضو ولاية المرأة ، هي الآية 228

من سورة البقرة على النحو التالي:

"وَالرِّجَالُ عَلِيمٌ دَرَجَةً".

ويرى هؤلاء أن الآية دليل على تفوق الرجل على المرأة ، و

لذلك، لا تستطيع المرأة أن تصل الى منصب الحكم والقيادة.

الاعتراض على هذا الدليل

الاعتراض الأول على هذه الاستدلال هو أننا إذا نظرنا إلى الآية بأكملها ، نرى أن هناك توازنًا في الفضيلة لكل من الرجال والنساء ، وليست الفضيلة للرجال فقط. يقول القرآن:

"وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَّمْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَّمْنَ دَرَجَةً وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ". (سورة البقرة 228).

و على أساس هذه الآية الكريمة ، مثلما يتفوق الرجال على النساء ، كذلك للمرأة حقوق وامتيازات على الرجل. فلا جدوى من النظر إلى الآية من جانب واحد وتجاهل الآخر.

الاعتراض الثاني هو أن الحصول على درجة من الكمال للرجال في بعض الأبعاد لا يعني أن المرأة التي لديها مستوى عال من المعرفة والحكمة و المديرية و التدبير وغيرها من المؤهلات للقيادة يجب أن تحرم منها.

الدليل الخامس

و مما تمسك به معارضو ولاية المرأة هو الرواية الواردة في مصادر أهل السنة و هو كالتالي.

"مَا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (و آله) وَسَلَّم أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ : لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ". (صحيح البخاري، الحديث 4425).

الاعتراض على هذا الاستدلال

والاعتراض الأساسي على هذه الحجة إشكالية الوثيقة لراوي الحديث. حتى أن بعض علماء السنة اعتبروا أن هذا الحديث ليس له مستند صحيح. وقد ورد هذا الأمر في العدد 59 من مجلة "التجديد" أن جماعة من العلماء اعتبروا هذا القول باطلاً وغير دقيق ، وهو ما نسب زوراً إلى رسول الله ﷺ.

الدليل السادس

يعتقد بعض المعارضين أن التجربة العملية أظهرت أن المرأة لم تنجح في قيادة المجتمع ، وفي بعض الحالات ، تسببت قيادة المرأة في مشاكل.

الاعتراض على هذا الاستدلال

الاعتراض على هذه الحجة هو أن هناك العديد من الحالات التي فشلت فيها إدارة الرجال أيضا وتسببت في الكوارث و المأساة. وهل يمكن أن يقال: لهذا السبب لا تشمل الولاية الرجال أيضا؟

بالإضافة إلى ذلك ، فإنه توجد كثير من الأمثلة لإدارة المرأة في منصب الزعامة العامة والقيادة الحكومية في فترات من الزمن في البلدان الكبيرة مثل الهند وألمانيا و نيوزيلندا و استراليا و باكستان و تايوان و النرويج و غيرها ، و التي هي ما لا يقل عن إدارة العديد من الرجال في بلدان مماثلة.

استعرضنا حتى الآن أهم أدلة المعارضين لولاية النساء ، كما
ذكرنا الاعتراضات عليها.

و الآن ، سنشرح أدلة الموافقين لقيادة المرأة و الولاية العظمى
لها.

دلائل الموافقين لولاية المرأة

الدليل الأول

و هو الآية 71 من سورة التوبة التي تقول:

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَ

رَسُولَهُ أُولَئِكَ

سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

وبحسب هذه الحجة ، لا فرق بين الرجل والمرأة في الولاية على

الآخرين ، ولكل منهما أن يكون قائدا للمجتمع.

الاعتراض على هذا الاستدلال

وقد يقول قائل: معنى الولاية في هذه الآية الكريمة: أن نحب بعضنا البعض كما ترجمه بعض الفقهاء. فليست الولاية هيئنا بمعنى القيادة و الزعامة .

الجواب عن هذا الاعتراض

يمكن الجواب عن هذا الاعتراض بأن ملاحظة الآية بأكملها تثبت أن معنى الولاية هيئنا يتجاوز الصداقة والحب لبعضنا البعض. لأنه بعد الإدلاء بالولاية ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مما يدل على حق الأمر والنهي ، وهذا من درجات الولاية و الزعامة.

و ان قيل: ان ولاية الرجل والمرأة في هذه الآية تنحصر في حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذه الآية الكريمة ليست دليلاً على سائر مراتب الولاية، فنقول : لا يوجد في الآية المشار

الها دليل قاطع على الحصر ، و أما بيان بعد واحد من الولاية فهو لا يدل على نفي الأبعاد الاخرى.

الدليل الثاني

و مما يمكن التمسك به لإثبات ولاية المرأة هو الحديث الشريف الذي يثبت أن خمسين من أصل 313 وكيلاً للحكومة العالمية للإمام المهدي (عليه السلام) سيكونون من النساء.

وقد أوضحنا هذا الأمر في كتاب "الإمام المهدي و آخر الزمان" على النحو التالي:

للإمام المهدي (ع) ، مثل أي زعيم عظيم ، ممثلون و وكلاء للنظام و هم يديرون شئون الحكومة و أركان الدولة ، و بالتالي، يجب أن تكون لديهم قدرات وخصائص لازمة للحكم في مختلف بلدان العالم.

يذكر في الروايات الإسلامية أن ثلاثمائة وثلاثة عشر من الصحابة المخلصين والأقوياء وقادة الحركات التحررية تنضم الحركة العالمية للمهدي الموعود في عصر الظهور.

من الواضح أن مجموعة أتباع هذا الإمام وأعوانه و أنصاره تكون أكبر بكثير من هذا العدد ، وإلا فإن خلق نهضة عظيمة على مستوى العالم سيكون من المستحيل. لذلك ، فإن عدد ثلاثمائة وثلاثة عشر من صحابة الإمام المهدي (ع) المذكور في الروايات ، مرتبط بقيادة الجيوش و إدارة الأقاليم المتعددة تحت اشراف الامام عليه السلام.

حسب حديث في المجلد الأول من كتاب "تفسير العياشي" ، و المجلد الأول من كتاب "قاموس أحاديث الإمام المهدي" والمجلد السابع من كتاب "مجمع الزوائد" ، خمسون من بين ثلاثمائة وثلاثة عشر من هؤلاء زعماء النهضة العالمية للإمام المهدي (ع). تتكون من النساء.

و هذا هو نص الرواية عن الإمام الباقر (ع) كما يلي:

"ويجيء - والله - ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا فيهم خمسون

امراة يجتمعون بمكة على غير ميعاد ... وهى الآية التى قال

الله: [اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شىء

قدير]".

الاعتراض على هذا الاستدلال

قد سعى بعض الكتاب إلى تبرير هذه الرواية بالقول إن هذا

الأمر يدل على اثبات ولاية المرأة في زمن قدوم الإمام المهدي (ع)

فقط ، فلا يشمل الحكم المذكور زماننا الحاضر.

الجواب عن هذا الاعتراض

ردًا على هذا الاعتراض يمكن أن يقال: إذا كان حكم المرأة

محرمًا في الاسلام وفاقدًا للوجاهة الشرعية ، فإن الإمام

المهدي (ع) لا يقوم بهذا الفعل المحرم في عهده.

و في نهاية المطاف ، كما لاحظتم ، كانت هناك اعتراضات عديدة على حجج معارضي قيادة النساء، و في المقابل ، تتوفر لدينا حجج من القرآن و الأحاديث الاسلامية لإثبات ولاية المرأة وإمكانية زعامتها في المجتمع.

ومن الشواهد على قدرة المرأة على أداء الزعامة الدينية وإدارة شؤون المسلمين هي رواية الشيخ الصدوق (رحمه الله) ، التي وردت في عدة كتب مثل "مقاتل الطالبين" وغيرها.

ووفقاً لهذه الرواية ، قدم الإمام الحسين (ع) السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب ، و هي الملقبة "عقيلة بني هاشم" كمرجع ديني و من يبين الحلال والحرام للناس.
